بمناسبة الذكرى الثامنة والثلاثين لانطلاقة فتح

حبش: أعادت الهوية الوطنية وأشاعت الصلابة والإرادة لاستكمال مشروعنا الوطني

الوسط الذهبي الملتزم بالخط السياسي العام يشكل الاساس الصلب لقضيتنا

التفريط والمزايدة يمثلان إخلالا في العمل السياسي الصحيح

عسكرة الانتفاضة أفقدتنا الدعم الدولي والمطلوب اتفاق لوحدة الهدف والأساليب

السلطة رفضت الانصياع للمطالب التعجيزية والمطلوب حمايتها ببرنامج موحد

أجرى الحوار: عز الدين صلاح

فتح مفجرة الرصاص الأولى في التاريخ المعاصر الفلسطيني. وأحدثت تلك الرصاصة المتواضعة دويا هائلا محليا وعربيا. فمحليا أثبتت ان التنظيمات المتواجدة وبمختلف أطيافها وتلاوينها، لم تلتقط ما يعانيه شعبنا من تمزيق وذوبان وتشتت في الواقع العربي. وعربيا وحتى فلسطينيا، قيل عنها انها انطلاقة مغامرة، وسيكون مصيرها الفشل... بيد ان الأحداث المتعاقبة نقضت صحة موقف تلك الآراء، وأثبتت انها انطلاقة أصيلة رغم تواضعها، ونابعة من مآسي وهموم الشعب الفلسطيني، الذي فقد الجزء الأكبر من وطنه وما تبقى منه الحق بدون إرادته الى الأردن ومصر، وهذا الحال يوفر الأرضية لها للاستمرار والانتشار جماهيريا، لتصبح ظاهرة عامة في الشأن الفلسطيني، خاصة وان الحقوق إذا لم يكن هناك من يطالب بإحقاقها نظريا وعمليا، فانها ستصبح نسيا منسيا... وتبعت فتح تنظيمات قومية ويسارية في ممارسة الكفاح المسلح. وبفضل هذه الانطلاقة التي نحتفل بها حاليا انطلقت ثورة فلسطينية بقيادة فتح وأحدث ذلك تغييرا حقيقيا في مسار الشعب الفلسطيني الذي لم يعد ينتظر ما تقدمه وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين من مساعدات... بل انضم الكثير منه الى الثورة لنيل حقوق الشعب الفلسطيني، بالعمل وليس بالتوسل كما يظن البعض. هذه التجربة التي تعرضت وما تزال تتعرض لمؤامرات تستحق ان نقف عندها في كل عام لتقييمها. فهي التي أعادت الشعب الفلسطيني الى الخارطة الجغرافية والسياسية... وهي التي أعادت الحقوق الوطنية الفلسطينية الى الواقع، لتصبح مطلبا محليا وعربيا ودوليا... وهي التي أوصلتنا الى اتفاقيات اوسلو... وهي التي أخرجت المشروع الوطني الفلسطيني بإقامة دولة مستقلة في حدود الرابع من حزيران الى حيز الإمكانية الواقعية... وهي التي تدافع عنه لإنجازه بالكامل عبر تحديد مسار الانتفاضة الحالية، بحيث لا يتحمل بما لا يستطيع تحمله.

وحقيقة هذه التجربة كنت قد تناولتها في حوار شامل، مع القيادي الفتحاوي المخضرم وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح السيد صخر حبش/ أبو نزار ونشر في حلقات أربع في صحيفة الحياة الجديدة. ولأهمية هذه التجربة خاصة على ضوء ما يتعرض له شعبنا من هجمة شارونية تستهدف العودة بالمنطقة الى مربع الصفر، كان لابد من إجراء حوار آخر مع أبو نزار ليعبر عن موقف فتح الحقيقي عن آمال وهموم ومعاناة الشعب الفلسطيني، فكان هذا الحوار الذي يقع في حلقتين، وتاليا الحلقة الأولى منه.

عبء على إسرائيل

س: نحتفل بمرور ثمانية ثلاثين عاما على انطلاقة حركة فتح، فكيف تقيم هذه التجربة النضالية بما بها وما عليها، ولماذا لم تحقق الثورة الفلسطينية الحد الأدنى من أهدافها، رغم مرور هذه الفترة الزمنية الطويل؟

ج: انطلاقة الثورة قبل ثمانية وثلاثين عاما، جاء في ظل ظروف تاريخية صعبة، فلم يكن هناك هوية لشعبنا، وكان من الضروري لهذا الشعب الذي تشتت في أعقاب نكبة ال48ان ينطلق مجددا في كفاحة مستخدما أسلوب الكفاح المسلح، ليحقق هويته على أرضه.

وسبق ذلك ان كرست منظمة التحرير الفلسطينية كإطار للشعب الفلسطيني. بيد ان هذا الإطار كان جزءا من النظام العربي الرسمي الذي لم يكن مستعدا للقتال لتحرير فلسطين. فكان على حركة فتح ان تنطلق في كفاحها المسلح لتجر المنطقة العربية للاستعداد لعملية التحرير. بعد أعوام من الانطلاقة برز في الواقع العربي نوع من التحرك باتجاه التعاطف مع الثورة الفلسطينية، وخاصة على الصعيد الشعبي. وهذا أدى إلى ردود فعل إسرائيلية ضد الواقع العربي/ تلا ذلك حرب حزيران عام 1967 واستطاع الجيش الإسرائيلي وعبر حرب تقليدية سريعة ان يهزم الجيوش العربية المجاورة، مما ولد قناعة شعبية مفادها ان الحرب الشعبية طويلة الأمد، هي كفيلة ان تحقق انتصارا على الكيان الصهيوني. تجربة فتح الفتية أثبتت قدرة فائقة على جلب وتأطير الجماهير العربية وخاصة الفلسطينية منها باتجاه الكفاح المسلح، وهذا جعلها عرضة لمؤامرات إسرائيلية اميركية، بهدف القضاء عليها. كما ان بعض الأنظمة العربية أخذت تخشى على وضعها بسبب تفاعلات الانطلاقة. فجاء وزير الخارجية الاميركي الأسبق هنري كيسنجر ليعبر عن خطر تجربة الثورة على وجود إسرائيل بمقولته الشهيرة **"ان كل نظام عربي تتواجد على أرضه الثورة الفلسطينية المسلحة، عليه أن يقوم بتصفيتها، وكل نظام عربي يرفض أو يعجز عن القيام بهذه المهمة، فان الولايات المتحدة ستقوم بتصفيته"**

وبهذا الموقف الاميركي الممارس تجاه الأنظمة العربية ذات العلاقة المباشرة بالقضية الفلسطينية والذي تصاعد في أعقاب معركة الكرامة الخالدة، حدثت المأساة الكبرى لفلسطين، وتحولت الثورة إلى عبء على الأنظمة العربية. وحقيقة أضاعت الثورة سنوات طويلة وهي تحاول ان تنجو بنفسها من الصدام مع أنظمة عربية. ففي الأردن استطاعت بجهد ان تتجنب الصدام مع النظام الأردني ولمدة أربعة أعوام، ولكنها أرغمت على الخروج من الأراضي الأردنية، لتتوجه إلى سوريا ولبنان. وفي لبنان حيث ركز وجودها استطاعت ان تحمي نفسها وتواصل النضال ضد إمكانيات الصهاينة، رغم التآمر عليها، ورغم الحرب الأهلية اللبنانية.

وعندما فشلت كل المؤامرات لتصفية الثورة جاء شارون الذي كان يشغل منصب وزيرالحرب في حكومة مناحيم بيغن ليقوم بهذه المهمة في صيف عام 82 فغزا لبنان، وخاضت الثورة حربا شرسة لأكثر من 80 يوما والنتيجة انها خرجت من بيروت، واخذت تركز على داخل المناطق الفلسطينية المحتلة عام 67 وبهذا الخروج تحولت الثورة إلى عبء على الكيان الصهيوني وذلك عبر الانتفاضة الأولى الكبرى التي استمرت لسبعة أعوام. صحيح انه مر على الثورة سنوات طويلة، وقدمت التضحيات الجسام، ولكنها لم تحقق أهدافها كاملة، ويعود ذلك إلى أربعة أسباب رئيسية هي:

1. ان الثورة لم تكن متفهمة لطبيعة ودور الواقع العربي بشقيه الشعبي والرسمي في القضية الفلسطينية، مع التذكير ان الأنظمة العربية كانت ترتعد خوفا من الهيمنة الاميركية على المنطقة.
2. ان الشعب الفلسطيني كان ضحية لخلافات عربية عربية وفي أحيان أخرى ضحية لخلافات فلسطينية.

3. حالة توازن القوى والحرب الباردة بين الكتلة الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفيتي سابقا، والتي كانت تدعم الثورة الفلسطينية، وبين معسكر الغرب بقيادة الولايات المتحدة، والتي كانت تنظر إلى الثورة بأنها تشكل خطرا على إسرائيل ومصالحها في المنطقة وحقيقة فان الثورة في تلك المرحلة كانت تحاول ان تظهر نفسها على انها ليست تابعة للاتحاد السوفيتي، لا بل صدرت إيحاءات ومواقف تشير إلى ان الثورة تعمل للتصالح مع أميركا. وهذه الحالة أطالت من عمر الثورة بحيث أصبحت الأطول في التاريخ المعاصر.

4. طبيعة العدو الصهيوني وقاعدته إسرائيل، والتي تمتلك قوة عسكرية هائلة ومتفوقة بفضل الدعم المادي والسياسي والاقتصادي الذي تقدمه إليها الولايات المتحدة الدولة الأعظم في العالم. هذا العدو المتفوق يقابل شعبا صغيرا، ولكنه مستعد للتضحية، ولديه إيمان مطلق بعدالة قضيته وحتمية انتصاره. لقد مضى على الانطلاقة ثمانية وثلاثين عاما، وهذه الفترة تعتبر طويلة بالقياس الزمني. وهذا ان دل على شيء، فان يدل على ان شعبنا ورغم ما قدمه من تضحيات جسام على طريق حريته، الا انه لا يزال مستعدا ليقدم المزيد، كما انه متمسك بإرادة وإصرار لتحقيق حقوقه الوطنية، وانه مستعد للسير في هذا الطريق ولعقود أخرى إلى ان ينال حريته. وهنا أشير إلى ما ورد في القرآن الكريم "ان فيها قوما جبارين". ان هذا الثبات الذي يتجلى به شعبنا في مواجهة الهجمة الكبرى الإسرائيلية الاميركية لهو دليل آخر على صلابة وعنفوان هذا الشعب الذي يشبه طائر الفينيق في تجدده المستمر.

وسط ذهبي

س: قلتم في احد الحوارات السابقة ان الوسط الذهبي في فتح ممثلا باللجنة المركزية قادر على ضبط الأوضاع التنظيمية لفتح والسير بوحدة التنظيم قدما نحو الأهداف السياسية، ولكن لوحظ مؤخرا غياب تأثير هذا الوسط على القاعدة التنظيمية وخاصة كتائب شهداء الأقصى فماذا تقول في هذه الحالة؟.

ج: طبيعة مفهوم الوسط الذهبي للعمل التنظيمي أو السياسي هو السير بالاتجاه العام الملتزم بالأهداف من خلال المنطلقات والوسائل المناسبة.هذا الخط يحاول ان يمنع الانحراف باتجاه التفريط بالأهداف من اجل مصالح آنية. ويحاول أيضا ان يمنع التيار المزايد على الأهداف من اجل مصالح آجلة أو أخرى. وفي اعتقادي ان هذا الخط لا يزال موجودا، ويشكل أساسا لقضيتنا، رغم انه قد يكون تضعضع في الآونة الأخيرة. وهذا ناتج عن ازدياد حدة وتيرة الصراع مع الاحتلال وأساليبه الإجرامية التي وصلت إلى الذروة.

ونجم عن هذا التطور، وجود ردود انفعالية داخل فتح تقول إن هذا العدو المتغطرس يقوم بقتلنا يوميا، وان من حق شعبنا ان يستخدم كافة الأساليب الممكنة لتكسير غطرسته. وهذا الطرح الانفعالي التقى مع الطرح المزايد، ومع طرح حركة حماس التي لها برنامجا عقائديا خاصا بها، ويقوم على أساس أن تحرير كامل التراب الفلسطيني يمكن تحقيقه في هذه المرحلة عبر الانتفاضة ومن خلال وممارسة كافة الأساليب، بما فيها العمليات العسكرية ذات الطابع الانتحاري ألاستشهادي داخل الخط الأخضر. ان الوسط الذهبي هو القادر على الاستمرار كون انه يرى الواقع على حقيقته، ويلتزم بقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة بقضيتنا، والتي تقول بانسحاب إسرائيل من كافة الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة في عام 1967 بما فيها القدس المباركة. وهدف هذا الوسط هو إقامة دولة فلسطينية كاملة السيادة في حدود الرابع من حزيران، وعاصمتها القدس الشريف، وخالية من المستوطنات، ومع ضمان حق العودة

للاجئين الفلسطينيين طبقا للقرار 194.

كما ان الوسط الذهبي يرى بان المقاومة يجب ان تكون في الزمان والمكان المناسبين، وان توجه ضد الاحتلال والمستوطنين، الذين يعيثون فسادا في أرضنا، وهذا حق كفلته مبادئ الشرعية الدولية. ويقف أيضا ضد كل مواقف تفريطية بالأهداف الوطنية والقومية والدينية، سواء تلك التي تصدر عن أعضاء من فتح، أو تلك التي تصدر من الساحة الفلسطينية وتطالب بالتنازل عن حق عودة اللاجئين الفلسطينيين، أو تطالب بوقف الانتفاضة والمقاومة التي لا تتعارض مع المبادئ الدولية. ومن مميزات هذا الوسط انه يرى الواقع على حقيقته، ويؤكد على أهمية وقوف الرأي العام العالمي إلى جانب قضيتنا، لذا فهو يرفض الاتجاه المزايد سواء داخل فتح، أو داخل الساحة الوطنية، ويرفض الاتجاه الذي يقوم بعمليات عسكرية تستهدف المدنيين الإسرائيليين داخل الخط الأخضر، وذلك لأنها ليست مقبولة دوليا، وتوفر لحكومة إسرائيل الذرائع للممارسة القتل والتدمير والاجتياح لمدننا وقرانا ومخيماتنا. ان المحافظة على الدم الفلسطيني، لن يتم عبر القيام بعمليات انتقامية، تؤدي إلى قتل مدنيين إسرائيليين خارج حدود الرابع من حزيران، وتؤدي مثل هذه العمليات التي تحدث في المكان الخاطئ والوقت غير المناسب إلى قيام جيش الاحتلال وعلى قاعدة انه يدافع عن أمن ووجود إسرائيل بسفك دماء العشرات والمئات من المدنيين الفلسطينيين، وتدمير البنية التحتية للمجتمع الفلسطيني، تحت ذريعة مكافحة ما تسميه إسرائيل الإرهاب. ان هذا النوع من العمليات الانتقامية، هو بحد ذاته تفريط بالدم الفلسطيني، ويلحق الضرر بالمصالح الوطنية الفلسطينية العليا، كما ان الرأي العام العالمي وخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر في الولايات المتحدة، بات يجمع على أدانته لهذه العمليات ونحن في أمس الحاجة لوقوف المجتمع الدولي إلى جانبنا ونحن نواجه الاحتلال بمقاومة وانتفاضة تنسجم مع المبادئ والمواثيق الدولي.

ويسعى هذا الوسط إلى تأطير وتنظيم قطاعات المجتمع الفلسطيني على أساس أن الوحدة الوطنية ضرورة ملحة للنصر، وان هذه الوحدة يجب ان تقدم على أساس الاتفاق على الأهداف والأساليب المتبعة لتحقيقها. وكل من يخرج عن هذا المفهوم، يعتبر اما مفرطا بالأهداف الوطنية، أو مزايدا على الأهداف لتحقيق أهداف خاصة. وهؤلاء في المحصلة موجودين ولكن يبقى الوسط الذهبي هو أساس التوجه القائد والحامي لحسم القضية وتحقيق النصر.

إخلال بالعمل السياسي

س: هل سياسة التنازل التي تصدر بين الحين والآخر تفيد الموقف الفلسطيني العام؟ ولماذا تخلت الثورة عن الهدف الذي قامت من اجله وهو تحرير كامل التراب الوطني؟

ج: أشرت إلى ان الموقف السياسي الصحيح، هو ذلك المتمسك بالثوابت الأساسية الوطنية. الملتزمة بقرارات الشرعية الدولية والممكن تحقيقها في إطار توازن القوى الراهن والذي يضمن التراكم الايجابي نحو الأهداف الاستراتيجية ولا يهم إن صدر ذلك عن فتح أو من خارجها.

وهنا أشير إلى ان الأخ أبو عمار ورغم انه في مأزق كبير ويتعرض لحصار جائر، ولضغوطات كبيرة من الولايات المتحدة، الا انه أصر على تسوية لا تمس ثوابتنا الأساسية. وان القائد الذي يفرط في أي حق من حقوقنا والتي كفلتها مبادئ الشرعية الدولية سيسجل عليه انه كان من المفرطين، ولن يغفر له شعبنا.

وفي حالتنا الراهنة، وبسبب تعنت العدو الإسرائيلي، فان السياسي الرسمي أو الشعبي في لحظة اهتزاز، وبدلا من ان يقوم بمواجهة سياسة التعنت الإسرائيلية، يرى ان الالتفاف حول موقف العدو المتصلب بمنحه حالة نصر قد يؤدي إلى تليين موقفه. وهنا يحدث التفريط. فالإعلان صراحة عن التنازل

عن أي من حقوقنا سيعطي لإسرائيل ولأطراف أخرى المؤشرات لان تفرض هذا التنازل على الموقف الفلسطيني العام.

ان هذا التفريط بحد ذاته يمثل إخلالا بالعمل السياسي الصحيح. وهنا تأتي أهمية دور الوسط الذهبي في هذه العملية، لحماية حقوقنا وثوابتنا الأساسية. وفي اعتقادي أن الذي يزاود على ثوابتنا، او الذي ينتقص منها، فان كليهما يخرج عن الخط الأساسي السليم.

واذا لم نستطع أن نحقق أهدافنا في اللحظة الراهنة، فانه لمن الأهمية بمكان أن نبني ساحتنا البناء السليم، لنحضر الجيل القادم لتحقيق ما نعجز نحن عن تحقيقه. لقد جاءت الانطلاقة والأرض الفلسطينية لم تكن كلها تحت الاحتلال، رفعت شعارا لتحرير ما أغتصب من فلسطين، ولكن حصلت متغيرات دولية وكونية، ويدخل في الواقع، ومن لا يرى هذه التحولات لا يستطيع ان يؤثر ويدخل في الواقع، وسيؤدي ذلك الى استسلامه، ومن يراها فان عليه أن يحدد الاستراتيجية والتكتيك المناسب، للعمل من اجل تحقيق أهداف قادمة وممكنة. ان مشكلتنا تكمن في أننا نصارع عدوا تحت يافطة إسرائيل، ولكن هذا العدو بات من هذه اللحظة، ممثلا ومتغلغلا في تيار صهيوني أمريكي مسيحي جديد ومتعصب وعنصري، وأهدافه أكبر من السيطرة على فلسطين، بل يعمل للسيطرة على المنطقة والعالم.

وهذه الأهداف ليست لها علاقة بالواقع، ومن شأنها تدمير كل شيء. وما نشهده من حشد لقوات أمريكية لضرب العراق، لدليل على ذلك. وهنا تبرز أهمية كيف يمكن ان نحول دون تحقيق هذه الأهداف الجهنمية، وكيف نتعامل مع هذا الواقع المعقد والصعب، بطريقة نحمي بها الخط السياسي العام لنا، ونحمي الحقوق الإنسانية لطرفي المعادلة الفلسطينية الإسرائيلية وهنا من الضروري أن نتمسك بحق أساس يقول ويؤكد أن من حق الشعب الفلسطيني ان يختار قيادته، تماما كما تفعل باقي الشعوب، ومنها الشعب الإسرائيلي.

وفي اعتقادي ان الإسرائيليين، اذا ما تمسكوا بقيادة من نوع شارون المعروف بتطرفه ومغامراته، فان هذا سيكلفهم مخاطر أمنية واجتماعية واقتصادية كبيرة، من أهمها إلغاء الانفتاح الذي حققته إسرائيل مع الواقع العربي بعد اتفاقيات اوسلو، وهذا سيؤدي الى إلغاء إمكانية التعايش مع بعض المواقع العربية، وتكريس عزلتها، وإلحاق خسائر اقتصادية كبيرة بالاقتصاد الإسرائيلي، الذي تراجع نموه بنسبة لم يسبق لها مثيل. أخذين بعين الاعتبار، ان الدعم الاقتصادي الأمريكي لإسرائيل، لا يمكن ان يستمر الى ما لا نهاية.

صحيح ان مصلحة الصهاينة الجدد في البنتاغون والبيت الأبيض، قد التقت مع مصلحة الصهاينة المتطرفين في إسرائيل، ولكن الرئيس بوش فقد التوازن ولا يعرف ماذا يفعل على سبيل المثال اتجاه العراق، وهو يرى ان العالم لا يوافقه رأيه بضرب هذا القطر العربي ويرى كذلك ان رموزا في حزبه مثل جيمس بيكر وهنري كيسنجر، وان رموزا أخرى في الحزب الديمقراطي المعارض مثل كلينتون والجور، لا توافقه رأيه بتوجيه ضربة عسكرية كبرى غير تقليدية ضد الرئيس صدام، لان ذلك سيؤدي الى إلحاق خسائر بشرية بالشعب العراقي، وهذا يولد حالة من العنف وعدم الاستقرار في المنطقة.

إعادتها إلى زخمها

س: الانتفاضة بدأت كظاهرة شعبية، واكتسبت تعاطف العالم، ولكنها الآن لم تعد كذلك، فما أسباب التراجع الشعبي في فعاليات الانتفاضة؟

ج: للإجابة على هذا السؤال، علينا ان نرجع الظروف التي سادت قبل اندلاع الانتفاضة الثانية.

لقد عاد الأخ أبو عمار من مفاوضات كامب ديفيد المطولة، وقال في حينه: ان ما حدث لم يكن على ما يرام، لان التحضير لم يكن كافيا، وان فخا كان منصوبا له، أعده دينس روس بالاتفاق مع رئيس الوزراء السابق ايهود باراك، واقنعا به الرئيس السابق بيل كلينتون. ويقول هذا الفخ إن الرئيس عرفات سيكون جاهزا للتوقيع على اتفاق، ينهي الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، اذا ما قدم له براك شيئا لم يقدمه غيره من القادة الإسرائيليين. وحقيقة فان براك فعل ذلك في تلك المفاوضات وهو يدرك جيدا أن عرفات لا يستطيع الموافقة عليه.وكان يراهن على أن ذلك سيكشف موقف الأخ أبو عمار كرافض لعملية التسوية والسلام. فقد كان ما عرضه أقل من المقبول فلسطينيا، وبما يحقق الحد الأدنى من الحقوق الوطنية. وما عرضه باراك لاقى رفضا واسعا من المتجمع الإسرائيلي اليميني، ولكن الجو السياسي العام, وفي أحيان كثيرة يفرض على القادة السياسيين التنازل، وهنا أشير الى ان رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق نتنياهو والمعروف بتطرفه ورفضه لاتفاق اوسلو من أساسه، كان قد أجبر على التوقيع على بروتوكول الخليل بفعل ضغط الرئيس السابق كلينتون، وحصل في حينه على 87 صوتا في الكنيست الإسرائيلي. ولكن في مفاوضات كامب ديفيد التي استمرت لأكثر من 17 يوما، كان الرئيس كلينتون في آخر أيامه ويواجه مشاكل مونيكا، لذا فان قدرته على الضغط على الطرف الإسرائيلي كانت محدودة، صحيح ان باراك قدم ما لم يقدمه غيره، ولكن ما قدمه يعتبر ليس مقبولا في نظر اليمين الصهيوني العنصري والذين يرون أن القدس الموحدة هي العاصمة الأبدية لإسرائيل. ويرون كذلك انه لا يجوز بأي حال من الأحوال مناقشة مبدأ حق العودة للاجئين الفلسطينيين، ولا يجوز مناقشة موضوع المستوطنات داخل الضفة الغربية وقطاع غزة.

هذه الغطرسة المستندة الى القوة، كانت في أجواء مفاوضات كامب ديفيد موجودة، وأخذت تتعزز ونتيجة لهذه الغطرسة، التي ترافقت مع قيام زعيم المعارضة أرئيل شارون، بتدنيس الحرم القدسي الشريف، جاءت الانتفاضة، كظاهرة شعبية، ، وذلك لحماية الثوابت الوطنية، التي تمسك بها الأخ أبو عمار في مفاوضات كامب ديفيد. ان هذا التمسك كان يقوم على أساس ان المفاوضات ستتواصل، رغم فشل سابقتها. وهذا ما حدث بالفعل في طابا المصرية وأماكن أخرى. بيد ان قيام رئيس المعارضة في حينه اريئيل شارون بتدنيس الحرم القدسي الشريف كان بمثابة صب الزيت على النار، فأشعلت الانتفاضة لمواجهة سياسة كسر إرادة شعبنا وتخفيض سقف حقوقنا الوطنية. لقد تعامل باراك مع الانتفاضة بعقليته العسكرية السابقة والتي كانت ترفض اتفاقيات اوسلو. ففي اليوم الثاني لزيارة شارون المشؤومة سقط بالرصاص الاحتلالي ثمانية شهداء وجرح 200 من أبناء شعبنا. وفي اليوم الثالث سقط 13 شهيدا من أبناء شعبنا داخل الخط الأخضر. تواصلت عمليات القتل والتنكيل في مدننا وقرانا ومخيماتنا، وشاهد العالم مشاهد كثيرة مؤلمة تدلل على فاشية المحتلين، ومن ابرز تلك المشاهد اغتيال الطفل محمد الدرة بدم بارد. ورغم هذه السياسة التنكيلية بحق أبناء شعبنا، فان فعاليات الانتفاضة الشعبية تواصلت بزخم، وكانت هي السمة الأساسية للانتفاضة الشعبية واقتصرت الفعاليات على مواجهة المحتلين بالمسيرات الجماهيرية وبالحجارة لمواجهة الدبابة، الا ان استمرار استخدام القوة العسكري الإجرامية المفرطة ضد شعبنا وكوادره وقياداته بالاغتيالات والاعتقالات التي فرضت ردود فعل انتقامية في إطار المقاومة والذي ولد ما عرف بعسكرة الانتفاضة.

ونحن في حركة فتح وفي القوى الوطنية والإسلامية، كنا نحرص باستمرار على استمرار زخم الانتفاضة شعبيا، وطالبنا في بياناتنا عدم إطلاق النار من البيوت والمساكن المدنية، لكي لا نعطي مبررات تمكن الجيش المحتل من قصف المدنيين.

ورغم الظلم الذي لحق بنا من جراء التصعيد العسكري الصهيوني الا اننا طالبنا أيضا ان تكون المقاومة في المكان والزمان المناسبين. ولكن حدث خروج عن الخط العام لسير الانتفاضة الشعبية، عندما قامت حماس والجهاد الإسلامي بعمليات انتقامية، ردا على اغتيال نشطاء وقادة منهما. وتبعهما في ذلك،

قيام شباب من تنظيم فتح قاموا بنفس النوع من هذه العمليات الانتقامية، ردا على اغتيالات قيادات فتحاوية من أبرزها ثابت ثابت، ورائد الكرمي.تحت تسمية ميدانية هي كتائب شهداء الأقصى. لقد اعتقد الإخوة في حماس والجهاد، انه آن الأوان لتتحول الانتفاضة الى حرب تهزم إسرائيل. وهذا اعتقاد غير منطقي ولا يمت بصلة الى الواقع.

وبمجيء شارون الى سدة الحكم، كانت الأوضاع قد وصلت الى مستوى عال من التدهور، فالجيش الاحتلا لي يواصل التصعيد. وبالمقابل ازدادت العمليات العسكرية الانتفاضية داخل الخط الأخضر. ان هذا التحول أدى الى تراجع شعبي واضح في فعاليات الانتفاضة، وباجتياح الجيش الإسرائيلي الضفة الغربية بكاملها باستثناء أريحا، أصبح العمل الشعبي محدودا وممزقا.ورغم هذه الظروف الصعبة والمعقدة، الا ان روح الوحدة بقيت موجودة في إطار القوى الوطنية والإسلامية. وهناك الان محاولات جادة لإعادة الحوار للتوصل الى اتفاق يحدد وحدة الهدف والأساليب المناسبة لتحقيقه. وانا أقول ان تجربة الأعوام الماضية، دللت على انه لا يمكن الوصول للهدف من خلال العمليات الانتقامية داخل الخط الأخضر، وكذلك لا يمكن تحقيق أهدافنا عبر طاولة المفاوضات فقط، انما الصحيح ان تكون المفاوضات مدعومة بانتفاضة ومقاومة وطنية في المكان والزمان المناسبين والذي يستمد شرعيته من القانون الدولي وحقوق الإنسان.

وما يؤكد أهمية ان يصل الحوار الفلسطيني الى اتفاق حول الهدف والأساليب، ان أحداث 11 سبتمبر في الولايات المتحدة، عكست نتائج سلبية على قضيتنا وشارون استغلها تحت ذريعة ما يسميه الإرهاب اخذ يمعن في سياسة القتل والتدمير المبرمجة، كما ان التحالف الصهيوني المسيحي الاميركي الجديد، يشن الان حربا شرسة ضد الإسلام والعروبة، وتحت ذريعة محاربة الإرهاب، ويعمل الان لإعادة بناء النظام العالمي الجديد وإعادة بناء منطقة الشرق الأوسط تحت الهيمنة الاميركية الصهيونية، وهذا المخطط بات يهدد العراق والسعودية وسوريا وإيران.

ان التمسك الثوري بجوهر الانتفاضة والمقاومة يجب ان لا يكون محكوما بمظاهر المزايدة والوسائل والأساليب التي تضر القضايا الوطنية، وخاصة تلك التي تعطي لشارون الغطاء الدولي لوصم حركتنا وانتفاضتنا بالإرهاب من خلال استهداف المدنيين. ومن هنا فان جوهر الحوار والاتفاق لا بد ان يؤكد على أهمية الالتزام بوسائل النضال المتنوعة والتي تنطلق من قرار واحد مسؤول أو من سلطة وطنية واحدة هي صاحبة الحق في تنفيذ القانون وحمايته. ومع تأكيد الحرية الكاملة لكل القوى والأحزاب والمؤسسات بالعمل في إطار التعددية التي نص عليها إعلان الاستقلال الفلسطيني عام 1988 بقوله "ان دولة فلسطين هي للفلسطينيين أينما كانوا، فيها يطورون هويتهم الوطنية والثقافية. ويتمتعون بالمساواة الكاملة في الحقوق وتصان فيها معتقداتهم الدينية والسياسية وكرامتهم الإنسانية في ظل نظام ديمقراطي برلماني يقوم على أساس حرية الرأي وحرية تكوين الأحزاب ورعاية الأغلبية حقوق الأقلية، واحترام الأقلية قرارات الأغلبية. وعلى العدل الاجتماعي والمساواة وعدم التمييز في الحقوق العامة على أساس العرق أو الدين أو اللون أو بين المرأة والرجل في ظل دستور يؤمن بسيادة القانون والقضاء المستقل وعلى أساس الوفاء الكامل لتراب فلسطين الروحي والحضاري في التسامح والتعايش السمح بين الأديان عبر القرون".

ان النموذج الذي يمكن ان تقدمه حركتنا وثورتنا الفلسطينية في مجال الديمقراطية البرلمانية ينطلق من حقيقة ان الشعب الفلسطيني الذي خاض مسيرة النضال الوطني الثوري الطويل المدى، وحافظ على ديمقراطية ثورية في ظل غابة بنادق لا يمكن ان يقبل بنظام لا يقوم على الركائز المشار إليها أعلاه. وعلى الرغم من الأصوات التي تلهث وتصرخ تحت عناوين الإصلاح وكأن شعبنا غير مؤهل لاختيار قيادته وللممارسة الديمقراطية المستقرة في دولة مستقلة، إلا إذا كان بالمقاس الذي يريده أعداء شعبنا. فالهجمة ضد القيادة الفلسطينية وخاصة الأخ أبو عمار انما تنبع من حقيقة التمسك بالثوابت الوطنية

بصلابة، وليس نتيجة الخلل الإداري والمالي، وما وجد فإصلاحه الضروري ينبع من حاجتنا ومصلحتنا وإرادتنا.

وقفة مع الذات

س: من سلبيات الانتفاضة أنها أفرزت استراتيجيتين متناقضتين الأولى تقول أن هدف الانتفاضة هو إقامة دولة فلسطينية في حدود الرابع من حزيران، والثانية تقول أن الانتفاضة ستحقق تحرير كامل التراب.. وبسبب هذا الواقع تعاني السلطة من مأزق كبير، فكيف ترون الخروج من هذا الإشكال الذي يلحق أكبر الضرر بالوحدة الوطنية؟

ج: لا شك أن الاستراتيجيتين التين يتحدث عنهما السؤال، كانتا موجودتان قبل وبعد اتفاقيات اوسلو. وحتى الاستراتيجية الأساسية التي عبرت عنها فتح، أبقت في فكرها إمكانية الدولة الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني مفتوحة على المدى البعيد بالوسائل الديمقراطية وذلك في حالة تحقيق التعايش والسلام ما بين الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي. بيد أن حقائق الوضع الدولي في هذه المرحلة تشير فقط الى قرارات لا تنص على دولة ديمقراطية للشعبين، إنما تقول بدولتين فلسطينية وإسرائيلية. إن الاستراتيجية الأساسية التي ترفض تحميل الانتفاضة ما لا تتحمله، ترى انه لا يمكن تحقيق أيا من أهدافنا بدون وقوف المجتمع الدولي معنا. وحتى يتجسد ذلك عمليا، فانه لا بد من قبول قرارات الشرعية الدولية ذات الصلة بالقضية الفلسطينية، وكذلك لا بد من إحداث تفاعلات في المتجمع الإسرائيلي، ليلعب دورا متعاظما في التخلص من استراتيجية الصهيونية التي تريد كل فلسطين. ويقابل هذا الطرح ان هناك في ساحتنا من يقول انه يريد تحرير كامل ترابنا الوطني من الصهيونية بالانتفاضة والمقاومة الراهنة. وفي اعتقادي أن كلا الموقفين من مصلحتهما أن لا يحدث التعايش والسلام بين الشعبين، ولان ذلك قد يفتح آفاقا مستقبلية لإمكانية إقامة دولة ديمقراطية للشعبين في إطار من الاحترام المتبادل والمساواة في الحقوق والواجبات بين الشعبين. وحقيقة عندما اندلعت الانتفاضة الثانية التي ما تزال مستمرة، برز تصور لدى البعض، وخاصة حماس والجهاد الإسلامي، ويقول انه حان الأوان للعمل لتحقيق استراتيجية تحرير كامل التراب، محملين بذلك الانتفاضة ما لا تتحمله. وانا أتحدث عن الانتفاضة والمقاومة قد يكون مناسبا أن أشير الى اتجاه آخر. ويقول ان تضحيات جسام وخسائر مادية لحقت بشعبنا. وتحت هذه المبررات يطالب هذا الاتجاه المتواجد في فتح وخارجها بوقف الانتفاضة والمقاومة والعودة الى طاولة المفاوضات. ولكن الاستراتيجية الأساسية التي يعبر عنها الوسط الذهبي في داخل فتح وخارجها يقول ان المفاوضات استمرت لأعوام تجاوزت التسعة، وجرت في وضع لم يكن هناك انتفاضة، ولكنها لم تحقق نتائج ملموسة، لذا يرى ان الأصح ان تجري المفاوضات في ظل استمرار الانتفاضة والمقاومة المناسبة والتي لا تتعارض مع مبادئ الشرعية الدولية. في مرحلة باراك اندلعت الانتفاضة، وجرت مفاوضات، واستمر هذا الوضع لمدة أربعة أشهر. لكن صعود الليكود الى الحكم بقيادة شارون، أوقف هذا الوضع، لعلمه أن المفاوضات في ظل انتفاضة، تعني شرعية ما يقوم به شعبنا من عمل شعبي ومقاومة ضد الاحتلال. وحيث ان شارون ملتزم باستراتيجية صهيونية، تقزم حقوقنا الوطنية الى حكم ذاتي على 42 % من مساحة الضفة الغربية ومقطعة التواصل، فانه بمجرد وصوله الى الحكم قام بوقف المفاوضات تحت ذريعة انه لا يمكن إجراء مثل ذلك وأعمال العنف مستمرة من الطرف الفلسطيني. ولمواجهة هذا الطرح الذي لا يريد السلام ويضرب بالقرارات الدولية عرض الحائط، فانه لمن الضروري ان نبحث عن مصادر قوتنا، وهي وحدتنا حول الهدف والأساليب وهذه الوحدة الحقيقية في إطارها النظري والعملي هي الكفيلة بتفعيل الأمة العربية والإسلامية للوقوف الى جانب نضالنا. وهذا سيؤدي أيضا الى سحب المزيد من الموقف الدولي، خاصة وان قضيتنا عادلة ونطالب ما تطالب به الشرعية الدولية.

وفي هذه المناسبة، أشير الى ان جزءا كبيرا من العمل الأمريكي، الذي مارسه وزير الخارجية كولن باول ورئيس المخابرات جورج تينت والمبعوث زيني كان في الأساس يهدف الى وقف الانتفاضة، والعودة بالوضع الى ما كان عليه قبل اندلاعها.

هذا الموقف الأمريكي جاء تحت عنوان تحقيق السلام وإعادة الطرفين الى طاولة المفاوضات. ولكن في حقيقة الأمر كان ينطوي على شروط تعجيزية، مطلوبة فقط من الجانب الفلسطيني. وان تحققت فان ذلك يعني وقوع حرب أهلية، وطالب السلطة بجمع السلاح، واعتقال وسجن المقاومين. وهو أمر لم تقبل به السلطة، رغم انها خسرت الكثير من الاجتياح.

ان السلطة تعمل في ظل ظروف حساسة وصعبة، ولكنها كسبت احترام الكثير من جماهيرها عندما رفضت الانصياع للمطالب الأمريكية التعجيزية، وفي نفس الوقت هناك من يسعى لتقويض أركانها داخليا، وذلك لتحقيق أهداف لا تلقى إجماعا وطنيا. فمثلا في قطاع غزة، أخطأت حماس عندما وفرت الحماية لنشيط منها قام باغتيال أحد ضباط الشرطة وتحت ذريعة الانتقام الشخصي، وفي هذا الموقف تصرفت السلطة بحكمة لتجنب الفتنة الداخلية، ونتيجة لذلك، كسبت تعاطف كثير من الناس، حتى أن هناك من قاعدة حماس من أخذ يحترم سياسة السلطة في هذا الشأن. كما ان السلطة في القطاع تعمل الآن وضمن قدرتها، لسحب الذرائع والمبررات التي يستعملها شارون في اجتياحه لمناطقنا في القطاع، وذلك عن طريق التأكيد على أن العمليات داخل الخط الأخضر والتي تستهدف المدنيين لا تخدم مصالحنا وتفقدنا الدعم الدولي الذي نحن في أمس الحاجة إليه. وهنا أشير الى ان دولا أساسية ومهمة في المجتمع الدولي لم تعد تكترث لما يجري من اجتياحات إسرائيلية في المناطق الفلسطينية، فيما كانت تقف بقوة ضدها في وقت سابق. واذكر موقفا أمريكا طالب إسرائيل بالانسحاب الفوري من بيت حانون في بدايات الانتفاضة. لقد استطاع شارون وبسبب العمليات الاستشهادية ضد المدنيين داخل الخط الأخضر أن يجند الموقف الدولي الرسمي لصالحه. وأمام هذا الوضع الشائك، لا بد لنا من وقفة نقدية مبرمجة مع الذات، لنعيد الانتفاضة الى زخمها الشعبي والمقاومة في إطار الشرعية الدولية، ونصل الى اتفاق وطني حول الهدف والأسلوب، ولنعيد تأييد الموقف الدولي الرسمي والشعبي لصالح دعمنا في مواجهة الاحتلال. إن نضالنا ورغم السلبيات التي وقعت، الا انه حقق ويحقق نتائج ايجابية. فمثلا على صعيد الوضع الداخلي الإسرائيلي، وبسبب أن اليعازر زعيم حزب العمل السابق اتخذ مواقف تكتيكية ضد أبناء شعبنا، إثناء شغله لمنصب وزارة الحرب في حكومة شارون أقدمت القاعدة الحزبية لحزب العمل على اختيار زعيم آخر هو متسناع والذي قال في برنامجه الانتخابي "انه سيسحب الجيش الإسرائيلي من مناطق السلطة ومن طرف واحد، وسيجري مفاوضات مع القيادة الفلسطينية لتحقيق السلام وإقامة الدولة الفلسطينية، اذا ما وصل الى الحكم". ان برنامج متسناع هذا بالتأكيد يختلف عن برنامج شارون. وهذا البرنامج ليس له علاقة بالقتل والتدمير والاجتياح. ونستشف من هذا ان هناك تيارا داخل إسرائيل يريد السلام. وهذا التيار حتى لو انه لم يصل الى السلطة، فانه قادر ان يشكل بديلا للتيار المتطرف الليكودي، وقد يحدث تفاعلات داخلية داخل المجتمع الإسرائيلي تحد من شراسة شارون ويتوقف هذا على مدى تحقيق وحدتنا ومطالبنا السياسية المنسجمة مع القرارات الدولية والمنسجم أيضا مع روح السلام والتعايش مع الآخر.